علم النفس الحديث : ٨

الاضطرابات العقلية

في علم النفس الحديث

للاستاذ موكسلي

نقلها الى العربية : حسن السباعي

نظريات يونج

قضى كارل جوستاف يونج [١] معظم سني حياته ، كاستاذه فرويد ، في درس الاضطرابات العقلية وفي البحث عن طرق معالجتها . وبعد ان توغل في البحوث النفسية الشقّ على تعاليم استاذه لتباين نظرهما في اللاشعور فوضع نظرية عامة في الحياة العقلية تختلف كل الاختلاف عن التحليل النفسي، وهي الاصل فيما ندعوه بعلم النفس التحليلي [٢]

ولا يقر يونج فرويد على نظريته الخاصة بالميول التناسلية الطفلية ، لان الايمان بهذه النظرية يدعو الى الاعتقاد في وجود دور من أدوار حياة الانسان يتكن فيه تلك الميول وهو دورٌ لا مثيل له في الحيوانات الشبيهة بالانسان . وعلاوة على ذلك فان ما جاء به فرويد يناقض الواقع فهناك أدلة كثيرة تثبت وجود استفزاز أولي للدوافع التناسلية عند الاطفال الذين لم تتعد اعمارهم الثامنة ، ويتجلّى ذلك في الذكور منهم خاصة . ويكسب يونج الشهوة البهيمية [٣] معنى أعم من المعنى الذي يربطه بها فرويد يماثل معنى الوجدان ويحاكيه . فبينما يذهب يونج رأي فرويد القائل بان الشهوة البهيمية ليست الاّ مجموعة الدوافع التناسلية يذهب الى ان للطاقة النفسية في الانسان مصدراً مركزيًّا . وما شهوة الانسان البهيمية إلاّ طاقة نفسية كامنة يمكن ان تتبدل شأنها في ذلك شأن الطاقات الطبيعية الأخرى . وتلك الطاقة الكامنة لا تظهر في شكل فعاليات مختلفة حسب بل تتغير صفاتها بتغير مظاهرها . ولم يكترث يونج في جميع بحوثه للغرائز او الاختلافات الفطرية للشهوة البهيمية ، كما يدعوها فرويد ، الاّ الغريزة التناسلية ، والغرائز المتعلقة باستمراء الطعام . وكذلك عني في مواضع قليلة من بحوثه بنوع من الاختلافات الفطرية دعاها « غريزة حب السلطة » [٤]

---

(١) [illegible] (٢) [illegible] (٣) Libido

(٤) Instinct for Power

ويختلف يونج وفرويد في اللاشعور . فاللاشعور — بحسب فرويد — ينشأ في الانسان نتيجةً للتفاعلات الخاصة بين التضارب العقلي والكبت والتوحيد بين نواحي العقلية التي تتم في الأعوام الأولى من حياة الطفل . وهو يتألف غالباً من الرغبات الطفلية المكبوتة وما يتعلق بها من الخواطر . وعلى هذا فان اللاشعور الذي يقره فرويد من الأمور التي يكتسبها الانسان خلال حياته ، اما يونج فيقسم اللاشعور قسمين متباينين : اللاشعور الشخصي (١) واللاشعور الاجماعي (٢)

فاللاشعور الشخصي يتألف بعضهُ من العناصر المكبوتة في الشعور وبعضهُ الآخر من المعرفة الناتجة عن الانطباعات الهامشية (٣) اي الانطباعات الشعورية التي كانت خارج مركز الانتباه ، وكذلك من الادراك الحسي للحوادث . وعلى هذا فان اللاشعور الشخصي كالشعور الفرويدي من الأمور المكتسبة في الحياة . اما اللاشعور الاجماعي فتراثٌ سلالي يُعَدُّ الغاية النهائية للشهوة البهيمية وهو يتألف مما يسميه يونج « المثل الأولية » (٤) اي من مجموعة من الميول التي تكسب العالم نشأ روحية وتصفهُ بأوصاف تتضمن هذا الاعتقاد . وترجع هذه الميول كل ما في العالم من اشياء الى عامل الهي او شيطاني او سحري وبذلك تؤثر في فعالياتنا العقلية بطرق شتى فتفرض علينا مختلف انواع المعتقدات الدينية او المذاهب الفلسفية . ويذهب يونج الى ان السلالات البشرية العظيمة تختلف بعضها عن بعض بمقدار ما توهب من تلك المثل الاولية وهذه الاختلافات تؤدي الى تفاوت نصيبها من الثقافة وتباين النهج الذي تنهجهُ في حياته المدنية

وقد كتب يونج في كتابه « رسائل في علم النفس التحليلي » (٥) ما يأتي : « إن للاشعور كما أفهمه ، وظيفة تعويضية (٦) بالقياس الى الشعور » . ويقصد بذلك ان من جميع ما توهبه من قابليات عقلية منذ ان توضع بين أحضان هذه الحياة ، لاينمو ولايتوحد الا عدد قليل منها ، فتتألف من تلك القابليات القليلة الموحَّدة شخصياتنا الشاعرة بذاتها ، لأنها تؤلف جوهر شخصياتنا الكلية . فليست شخصياتنا التي يشعر بها من يحيط بنا من الناس الا جزءاً يسيراً من شخصياتنا الكلية ، لان جميع قابلياتنا غير النامية الماكثة بمعزل لتلك التي تكوّن جوهر الشخصية ، تتوحد فتؤلف شخصياتنا التعويضية اللاشعورية . وصلة هذه بالشخصية الاجماعية كصلة جوهر الشخصية بما يحيط بنا من اناس وبما يحدث لنا من حوادث

(١) Personal Unconscious (٢) Collective Unconscious
(٣) Marginal Impressions (٤) Archtypes
(٥) Contributions to Analytical Psychology
(٦) Compensatory Function

روح الرجل وروح المرأة

ويفرق يونج بين الشخصية التعويضية اللاشعورية الخاصة بالرجل وبين تلك التي تخص المرأة، ويدعو الاولى «روح الرجل» [١] والاخرى «روح المرأة» [٢]. ففي الرجل السوي المكتمل صفات الرجولة تنزع روحه المتسلطة عليه نزعة أنثوية وتحاول ان تظهر في أحلامه مفرغة في شكل امرأة. وتوضيحاً لما يقصده يونج من تسميته الشخصية التعويضية اللاشعورية بالروح ننقل هنا ما كتبته جوان كُري في كتابها: اوليات سيكولوجية يونج» [٣]: «لاريب ان اكثر قراء الادب الانكليزي اطلعوا على رواية السير رايدر هجرد التي عنوانها «عائشة او هي». ففي هذه الرواية تمثل شخصية «هي» بذات رمزية تمثل روح المرأة التي تتوافر فيها جميع صفات اللاشعور الاجماعي ويجمع هذا المؤلف في شخصية «هي» صفات الالوهية ممتزجة بصفات العناريت، وصفات المرأة الجميلة المحببة المتسلطة المغرية بصفات المرأة الحقود البغيض المتعطشة لسفك الدماء. فكأنهُ أراد ان يصور «هي» بصورة الروح الممثلة للاشعور المقدس».

ويحسب ما تذهب اليهِ هذه المؤلفة إن الروح الكامنة في المرأة المكتملة الانوثة المؤمنة بان الاقتصار على زوج واحد هو المثل الأعلى للحياة الزوجية، تحاول الظهور في احلامها بشكل رجل وفي بعض الاحيان ترى نفسها كأنها ذات ازواج متعددين. وتحاول روح الرجل أو روح المرأة الانعكاس على شخص حقيقي. فيدعو ذلك الى اعتماد صاحب الروح على الشخص الذي انعكست عليهِ روحه والى تزايد الروابط الانفعالية بين الشخصين تزايداً اضطرارياً يدعو الى تولد الحب او الكراهية بينهما حتى وان لم تتوافر في الشخص الذي انعكست عليهِ الروح صفات معينة او مؤهلات خاصة».

ويجمع يونج بين نظريته الخاصة بطبيعة اللاشعور ونظرية اخرى تختص بتقسيم الناس بحسب نزعاتهم النفسانية. ففي عقيدته ان للعقل اربع وظائف: الاحساس والتفكير والوجدان والبداهة [٤]. اما تعريفهُ هذه الوظائف الاربع فليس بتعريف جلي المعنى سهل التأخذ. فهو وان اطلق على الاحساس والوجدان المعاني المتفقة عليهما، يقرر إن التفكير ليس الا مجموعة الافكار المنطقية المترابطة التي يتسلط عليها العقل وان البداهة هي المظهر الذاتي للدوافع.

ولنظرية يونج الخاصة بتقسيم الناس بحسب نزعاتهم النفسية شكلان: القديم منهما والجديد. فقد كان يونج يقسم الناس، فيما قدم من ابحاثه، الى صنفين: المائلين الى الاجتماع والظهور [٥]

---

(١) Anima (٢) Animus (٣) Analytical Psychology by Jolande Jacobi (٤) Intuition (٥) Extroverts

والميالين الى العزلة والتفكير[1]، ولا بد للانسان من ان يحتل مقاماً بين غايتي الميلين . ويتصف اصحاب الميل الاول بحب الاجتماع وسهولة مصادقة الناس والاستيناس في المجتمعات وكثرة ارتياد الاندية وصلات اللهو ، ويمتاز هؤلاء بقلة اكتراثهم لامور الحياة ومشكلاتها وهمهم ان يعيشوا يومهم دون ان يجهدوا انفسهم بالتفكير في غدهم ولئن يتبعوا نداء شهواتهم وانفعالاتهم مهما يكلفهم ذلك . واما اصحاب الصنف الثاني فلا يخالطون الناس الا لماماً واذا ما خالطوهم فلا ينصرفون الى ذلك بكلياتهم، وهؤلاء ميالون الى التفكير في الامور المتعلقة بانفسهم الى المطالعة والاشتغال الذهني. وهم اقل تقديراً للفن وللجمال من اولئك الميالين الى الاجتماع والظهور

وفي ابحاثه الجديدة هذب يونج كثيراً من نظريته القديمة وحاول تصنيف الناس بحسب الوظائف العقلية المارة الذكر . فهو يعتقد ان نزعات الافراد تتعين بتعيين نوع الوظيفة العقلية المتسلطة على عقولهم . فمن الناس من يكون خارجي التفكير — اي ميالاً الى التفكير في الامور الخارجة عن نفسه — ومنهم من يكون باطني التفكير اي من يقتصر على التفكير في الامور الخاصة بنفسه . وكذلك فيهم الخارجي الوجدان وفيهم الباطني الوجدان . ومثل هذا في الاحساس والبداهة . وبحسب ذلك يصنف يونج الناس ثمانية اصناف بدلاً من الصنفين القديمين . ومما يزيد في تعقيد نظريته الجديدة ان يونج يذهب الى ان الاشخاص الميالين الى النزوع الخارجي ميلاً شعوريًّا ميالون ايضاً الى النزوع الباطني ميلاً لاشعوريًّا والعكس بالعكس. وعندنا ان شخصيات فرويد ويونج تمثل كُلاً من اولئك الخارجيي التفكير والباطني التفكير أحسن تمثيل . فقد كان فرويد ينزع في جميع ابحاثه وافكاره منزعاً خارجيًّا بينما كان يونج يماكسه في ذلك فينزع نزعة باطنية

وتختلف وجهة نظر يونج في الاضطرابات العقلية عن وجهة نظر استاذه ، لان فرويد يعزو هذه الاضطرابات الى أمور حدثت فيما مضى من حياة الانسان ولاسيما في الاعوام الاولى من حياته، بينما يعزو يونج اسبابها الى أمور تحدث في الزمن الحاضر من حياته. فمن رأيه ان اسباب الاضطرابات العقلية تعزى الى زيادة في نمو احدى الوظائف العقلية الاربع زيادة غير طبيعية . ولكن يونج لم يستطع بعد تعليل اسباب عجز الوظائف العقلية التي أهمل انماؤها، عن ارجاع العقليات المصابة بالاضطراب الى الحالة السوية بعد ان تنمو تلك الوظائف نمواً كاملاً ، ولاسيما عند ما يبتلى الانسان بالانحطاط العقلي . ويعتقد يونج ولفيف من اتباعه ان الانحطاط العقلي نتيجة لوهن الافراد ولعجزهم عن مجابهة مشكلات الحياة ملتجئين في ذلك الى حالة يظنون فيها ان بها سلامتهم، تلك الحالة التي كان يلتجىء اليها الطفل عندما يكون

(١) Introverts

بين ذراعي امه او مرضعته ، فيصاب الافراد من جراء ذلك بالعمى او بالصمم او بالشلل الجسمي. ويعزو بعض اتباع يونج الانحطاط العقلي الى تصورات وأوهام كامنة في اللاشعور الاجماعي فاذا ما ازدادت تلك التصورات والاوهام شدة أصيب الشخص بالجنون أو الخبل

نظريات ادلر

كان الدكتور الفرد ادلر [١] كزميله يونج من تلامذة فرويد الاولين ، ولكنه انشق عليه متخذاً لنفسه مدرسة فكرية خاصة تعرف بمدرسة « سيكولوجية الفرد » [٢] . والحياة العقلية للافراد بحسب هذا المذهب النفسي الجديد ، ليست الا مظهراً منظماً لدافع حركي في النفس . ويدعو ادلر هذا الدافع الحركي « نموذج الحياة » [٣] ومن رأيه ان هذا يختلف باختلاف الافراد. والاصل في جميع تلك النماذج ميل أساسي وجداني كامن في جميع الافراد هو « الرغبة في السلطة » .فظاهر هذه النزعة النفسية تبدو كثيراً في نماذج حياة الافراد على اختلافهم وتباينهم . أما الاختلافات الفردية فترجع الى طفل واحد فعال هو الشعور بالضعة . ويعزو ادلر أسباب ذلك الشعور الى شذوذ في الخلقة أو ضعف في البنية أو ارتباك في الاحوال المحيطة بالطفل في أعوامه الاولى . ومهما تكن الاسباب فان هذا الشعور ولاريب يغير كثيراً من المظهر الذي تظهر فيه رغبة الفرد في السلطة ، وهي تحاول دائماً اخفاء ما في الفرد من نقص واظهاره في مظهر من لا عيب فيه

وقد يوفق الانسان الى اخفاء ما فيه من عيوب او نقائص على نحو ما يفعل الطفل الضعيف البنية عندما يضاعف جهده في دراسته لينال حظاً من التفوق المدرسي ونصيباً من التقدم العقلي . فيعوض بذلك ما ابتلي به من ضعف جسمي ومن تحافة في البنية . وفي كثير من الاحايين يخفق الفرد في عمل التعويض هذا فيعجز عن اخفاء نقصه واظهار كفاءته . وفي مثل هذا الحال يلجأ منخذاً لنفسه نموذجاً من نماذج الحياة ليسوغ لنفسه وان يحيط به من الناس اخفاقه وخيبته ، أو قد يستهدف لنفسه هدفاً خيالياً يتعذر الوصول اليه ، أو تتكون فيه عوارض ضعف عقلي فيتوهم انه مريض ولولا مرضه هذا لكان النجاح في متناول يده .وهكذا يحاول الظهور على وجه غير مباشر ، في مظهر الرفعة والسلطة كما انه يسعى دائماً الى استعطاف من حوله من الناس استعطافاً يجعلهم يشعرون معه بما هو فيه من خيبة منجياً بذلك مجابهة الواقع ومختفياً عن نفسه وعن معارفه خيبته واخفاقه . وقد قال ادلر في كتابه — سيكولوجية الفرد ، تطبيقها ونظرياتها [٤] — « ان جميع أنواع الاضطرابات العقلية وما

---

(١) Dr. Alfred Adler (٢) Individual Psychology (٣) Style of Life
(٤) The Practice & Theory of Individual Psychology

يصيب الانسان من حبوط لمظهر من مظاهر الشعور بالضعة والاعتقاد بالخيبة »

ومن أهم العوامل المحددة لطبيعة الشعور بالضعة المكينة لنماذج حياة الافراد ما يأتي : الميل الجنسي وحالة الطفل الاقتصادية ومكانة الطفل بين اعضاء اسرته . فالناس يحاولون بشتى الطرق التأثير في بناتهم لجعلهن يشعرن بضعف منزلتهن في الحياة العامة بالقياس الى أولادهم . والوالد الذي يبيح لنفسه ما لا يبيحه لأولاده يجعلهم يشعرون بأنه أرفع منهم مقاماً وأكثر حقوقاً . ويذهب ادلر الى أن الرغبة في السلطة تجعل الافراد يجهدون أنفسهم للظهور بمظهر « الذكورة » فاذا ما تقدم بهم العمر استحال ذلك الجهد الى ما يسميه « احتجاج الذكورة » . ولهذه النزعة النفسية أثر كبير في الحياة الجنسية لأنها تدعو الرجل الى القيام بالمرأة وتدعو المرأة الى الاستسلام للرجل . وهي التي جعلت الرجل يطلق على زميلته في الحياة وصف « الجنس اللطيف » . ومما من شك في ان الاخلاص الزوجي واعتراف الازواج بالمساواة بين الرجل والمرأة وصدودهم عن الرفعة التي يمنحها الرجل نفسه ويحرم المرأة اياها . اما في المرأة « فان احتجاج الذكورة » يقل ظهوراً عما هو في الرجل . ففي الغالب من النساء من تؤثر تلك النزعة في رغبتهن في السلطة تأثيراً غير مباشر فتجعلهن يعترفن بأنهن اقل مقاماً في الحياة من الرجل . ويقول احد دعاة سيكولوجية الفرد « ان النساء باعترافهن بسلطة الرجل يحاولن التخلص من مسؤوليات متعددة فيلقين مهام هذه الحياة وتبعاتها على عاتق ابناء الجنس الخشن »

ولا يؤمن ادلر بأن هناك اختلافات ظاهرة بين الفعاليات العقلية الشعورية واللاشعورية — تلك الاختلافات التي أقرها فرويد في تحليله النفسي وقال بها يونج في علم النفس التحليلي . فهو يذهب الى ان الانسان أقل شعوراً بأفعاله العقلية الشعورية وأكثر شعوراً بأفعاله اللاشعورية . ومع ذلك فانه يقول إن الشعور بالضعة عمل لا شعوري أو فعل لا يحسه العقل . وخلاصة القول ان ادلر ينادي بوحدة العقل ويستنكر التقسيم الذي اتبعه كل من استاذه فرويد وزميله يونج من قبل

ويتضح لنا مما تقدم من البحث ان علم النفس التحليلي وسيكولوجية الفرد لا يختلفان احدهما عن الآخر خسب بل يختلف كل منهما عن التحليل النفسي كذلك . ومع وجود الفروق البينة بين هذه النواحي الثلاث من نواحي علم النفس الحديث ومع ما فيها من نقائص وعيوب فان كلاً منها يقوم بنصيبه في دراسة الاضطرابات النفسية ومعالجتها . اما واننا قد اشرفنا على خاتمة البحث فلا بد لنا من السؤال عن اسباب الاختلاف بين وجهات علم النفس الحديث . ان الحقيقة التي لا غبار عليها هي ان علم النفس ما زال ابن يومه وان نظرياته جديدة غير معتدة الاركان وفي حاجة ماسة الى الدرس والتمحيص . وبعبارة أخرى اننا ما زلنا بانتظار نيوتن علم النفس . اما فرويد ويونج وادلر فليسوا الا اكثر من روّاد هذا العلم الجديد